سعاد محمد الصباح

خذني إلى حدود الشمس

دار سعاد الصباح

R. CHARAF

خذني إلى حدود الشمس

لوحة الغلاف للفنّان الأستاذ رفيق شرف

الرسوم الداخلية للفنانة ثريا البقصمي

سعاد محمد الصباح

خذني الى حدود الشمس

شعر

الطبعة الأولى، تشرين الثاني 1997
الطبعة الثانية، تشرين الثاني 1998
الطبعة الثالثة، آذار 2005
جميع الحقوق محفوظة

© دار سعاد الصباح للنشر والتوزيع
ص. ب. : ٢٧٢٨٠ الصفاة
الرمز البريدي: 613133 الكويت

هذي بلادٌ لا تريـدُ امرأةً . . .
تمشي أمامَ القافلة . . .
«سعاد»

كلُّ عملٍ مجيد وعظيم أساسه المرأة.

«لامارتين»

أعظمُ مخلوقٍ هي المرأة إذا عرفت قدر نفسها.

«جلادستون»

الرجلُ نثرُ الخالق، والمرأةُ شعرُه.

«نابليون»

إبحث عن قلب أيِّ امرأة تجدْ أمًّا.

«ميشليه»

التخرّج

أيُّها السيّدُ المخبوءُ في ساعةِ معصمي . . .
أيُّها المتحالفُ مَعَ الوقتِ ضدّي . . .
والمتحالفُ مع أساوري ضدّي . .
ومع أهدابي . . وأثوابي . .
وطلاءِ أظافري ضدّي . .
أيُّها الـمتآمـرُ مع كتبي . . وأوراقي . .
ورائحة القهوة ضدّي . .
ليتكَ تأخذ إجازَتَكْ

فالوقتُ معك لا يُحْتَملْ
والوقتُ بدونِكَ لا يُحْتَملْ
والزمنُ لا يأخـذُ شكَله النهائيّ
إلّا عندما يمرُّ من بين أصابعكْ . .

***

وأنا . . لا أكتملْ
إلّا عندما أتخرّج من بين أصابعِكْ . .

حرائق
على
الثلج...

حرائق على الثلج...

1

يا الذي لا يُشْبِهُ رجلًا
ولا يُشبِهُهُ رجلْ
مرآتي أنتْ . . .
فما أجملَ وَجْهي.

2

الثلجُ في «مِجيفْ»
أسودُ . . أسودْ.
والمتزحلقونَ على الجليد
يتزحلقونَ على أسلاكِ أعصابي.
«مِجيفُ» ترفـضُ أن تستقبلَني
وترفـضُ أن تكلّمني . .
وترفـضُ أن تعترفَ بشرعيّتي
إلّا وأنا متعلّقة بذراعكَ اليُسْرَى.
فهل يمكنُ أن تَردَّ إليَّ اعتباري
في هذه القرية الفرنسيّة الجميلة
التي اختارتكَ رئيساً لبلديتها؟ . .

3

أيُّها الرجلُ
الذي أخذَ خرائطَ الثلج في جيبهْ
وتركني أتزَلّجُ على ثلج أحزاني.
أيُّها الرجلُ الذي شربَ كلَّ قهوةِ فرنسا
وتركني أشربُ دموعي.
إنني هنا عاطلـةٌ عن الفَرَحْ..
وعاطلـةٌ عن الـحُبّ ..
وعاطلـةٌ عن أُنوثتي.

4

شوارعُ «مِجيفْ» مضرّجـةٌ برائحةِ صوتِكْ
وكراسي المقاهي .. محجوزةٌ على اسمكْ..
وجُبْن منطقة «السافوا» .. لا طعمَ له بعدَكْ..
وآثارُ أقدامِكَ على الثلج..
محفورةٌ على جدرانِ الذاكرَةْ..
فأعِدْ إليَّ يا سيّدي..
خرائطَ المدينةْ..

5

الساعـةُ تدقُّ
وأجراسُ أحزاني تدقُّ معها
ورياحُ الألب تنزعُ قُبَّعةَ الصوفِ عن رأسي . .
والثلجُ يحرقُني بنارهْ .
وأنتَ تمرُّ في شراييني .
شرياناً . . شرياناً
شِبْراً . . شِبْراً
زاويةً . . زاويةْ . .
موقعاً . . موقعاً . .
الساعـةُ تدقُّ
وأنا مُدجَّجةٌ بالعشقِ حتى أسناني .
فيا أيُّها المختبـئُ في أهدابِ غمامهْ
فلتهمرْ روعةَ أمطارِكْ .
فأيامي تتشقَّقُ عَطَشاً . .

6

أيُّها الفارسُ الذي يلفُّني بعباءَةِ رُجُولتهْ.
من شمالي، حتى جنوبي..
من شفتي، حتى خاصرتي..
يا مَنْ يكتبُ قصائدَ العشق على تضاريسِ أيامي
قلبي فاكهةٌ تنتظرُ القطَافْ
ومَسَاماتي مفتوحـةٌ لمراكبكَ القادمةِ مع الريح
فيا أيُّها البحّارُ الذي شقَّقَ ملحُ البحرِ شفتيهْ.
أنا مـملكـةٌ من النساءْ
فازْرَعْ مِرساتكَ على سواحل وجداني.
وامنحْني بَرَكاتِ أُبوَّتِكْ
فلا بيتَ إلّا أنتْ.
ولا قبيلةَ إلّا أنتْ.
ولا وَطَنَ أنتسبُ إليه..
إلّا أنتْ.

7

في الرابعة
يرتفعُ بحرُ ولهي، حتى يهدمَ كلَّ سُدُودي
ويقتلعَ كلَّ أشجاري..
ويلغي خُطوطَ لغتي.
وخطوطَ ذاكرتي.
في الرابعة
أشتعلُ فوق ثلج «مِجيفْ»
كشجرةِ عيدِ ميلادْ
وأصرخُ حتى ينغرسَ صوتي بصوتكْ
وتنغرسَ جذوري في ترابكْ..
وأصبحَ جزءاً من دورتكَ الدمويّة..

8

أيُّها الفارسُ الذي أَنتظرُهُ . .
منذ بدايةِ التاريخْ
ومنذ بدايةِ الأشياءْ
إنَّ أشجارَ حناني . .
وأزهارُ قلبي مُسْتَنفَرَةْ . .
وطيوري . . وأسماكي
وأبراجُ فكري . . مُسْتَنفَرَةْ . .
فترجَّل عن حصانِك ، يا سيِّدي
وقاسمْني
لحظاتِ الشعر . . ولحظاتِ الجنون . .

9

ماذا أفـعلُ بتراثكَ العـاطفيِّ المزروعِ في دمي
كشجرةِ ياسمينْ؟
ماذا أفعلُ بصوتكَ الذي ينقُرُ كالديكِ
وجهَ شراشفي؟
ماذا أفعلُ ببَصماتِ ذَوْقِكَ على أثاثِ غرفتي؟
باللوحاتِ التي انتقَـيناهَا معاً
والكُتُبِ التي قرأناها معاً
والتذكاراتِ السياحيّةِ التي لـملمناها من مُدنِ العالم
وبالأصدافِ التي جمعناها من شواطئ البحر الكاريبي؟
قل لي يا سيّدي:
ماذا أفعلُ بهذه التركة الثقيلة من الذكرياتِ
التي تركتَها على كتفيّ؟
لقد حاولتُ أكثرَ من مرّةٍ . . أن أتخلَّصَ منك . .
ومنها
ولكنّني خجلتُ من بَيعِ تاريخي
وبيعِ مشاعري
وبيعِ ضفائري في المزاد العلنيّ

10

إلى أيّة مدينةٍ من مُدنِ العالم . . سأذهبْ
ومعكَ خرائطُ كُلِّ الأمكنةْ
وفي أيّ مقهى سأجلسْ
وأنتَ احتكرتَ أشجارَ البُنّ
ورائحةَ القهوةْ؟
وبأيّة لغةٍ سوف أتكلّمْ
وبيديْكَ مفاتيحُ لغتي؟ . .
حاولتُ ترحيلَكَ إلى الوجهِ الثاني منَ القمَرْ
فلما طَلَعَ القمر . . عدتَ مع أشعّتهْ
ووجدتُ وجهَكَ مرسوماً على زُجاجِ نافذتي.
حاولتُ أن أرسلكَ إلى أمّكْ
التي علّمتكَ الدَّلعَ . . والفَوْضى . .
وهوايةَ جمْعِ الطوابعِ
وجَمْعِ النساءْ . .
ولكنّها أعادتكَ لي بالبريدِ المضمونْ
مع أطيبِ التمنّياتْ.

أعتذرُ
لك...

أعتذرُ لك...

1

أعتذرُ لكَ يا سيّدي . .
أعتذرُ لكَ يا سيدي . .
أعتذرُ لكَ . . من أعماقِ القلب،
ومن تشقّقاتِ الفكر،
عن الزمنِ الضائع . .
الذي لم تكنْ فيه حبيبي
أعتذرُ لكَ عن الصيفِ والشتاءْ
وعن الخريفِ والربيعْ
وعن كلِّ جزءٍ من أجزاءِ الثانيةْ . .
لم أُخبئكَ به تحت أجفاني
ولم أسقكَ من حليبِ حناني .

2

أعتذرُ لكَ يا سيّدي . .
أعتذرُ لكَ عن طفولتي،
التي مرت بلا لونٍ . . ولا طعمٍ . . ولا رائحة . .
فلا قرأتُ خطوطَ يديكَ جيداً . .
ولا استوعبتُ رائحةَ شجاعتكَ جيداً . .
أعتذرُ . . عن أيامي التي لم تكنْ أياماً،
وتاريخي الذي لم يكنْ تاريخاً
وحدائقي التي كانت لا تُزهر . . .
وسمائي التي كانت لا تُـمطر . . .

3

أعتذرُ لكَ يا سيّدي . . .
عن مئة عامٍ من العزلة
لم تطلعْ فيها من فكري
شجرةٌ واحدة . . .
تُغيّرُ تاريخَ الشجر . .
ولا بنفسجةٌ واحدةٌ تغيّرُ تاريخَ البنفسج،
ولا قصيدةٌ واحدةٌ تغيّرُ تاريخَ الشعر.

4

أعتذرُ لكَ يا سيّدي . . .
أعتذرُ لكَ . . ولو بصورةٍ متأخرة . .
عن المدنِ التي زرتها وحدي . .
وطائرةِ الكونكورد التي سافرتُ بها وحدي . .
والشوارِعِ التي تسكّعتُ فيها وحدي . .
والأمطارِ التي تبلّلتُ بها وحدي . .
والمكتباتِ التي قرأتُ كتبها وحدي . .
أعتذرُ . . لك . . .
عن الفنادقِ الموحشةِ التي دخلتُ إليها وحدي
وبكيتُ بين جدرانها وحدي . . .
أعتذرُ لكَ عن سنواتِ اليُتم العاطفيّ التي عشتُها
قبل أن تكونَ سيّدي . . ومليكي . . .

5

أعتذرُ لكَ يا سيّدي
أعتذرُ لكَ للمرّةِ الخمسين..
عن كلِّ زاويةٍ من فكري لم تشملْـها برضاك
وكلِّ سنتيمترٍ من شَعْري
لم يدخلْ في قائمةِ ممتلكاتكْ
وكلِّ خيطٍ من ثيابي لم يخضرْ لابتسامتِكْ
أعتذرُ لكَ عن كلِّ الرسائل
التي كتبتُها إليكَ قبلَ ولادتي..
ولم أسلّمْها إليك..
وعن كلِّ الأحلامِ التي رسمتُها بألوانِ الطيف
على جدرانِ رحمِ أُمّي..
ولم تصلْك..
وكلِّ الأسماكِ التي التقطتُها
لكَ من بحيرةِ القمر..
وماتتْ بين يدي.

رجلٌ
في
الذاكرة...

رجلٌ في الذاكرة...

1

مُشْكلتي معكَ، لا عَلاقَةَ لها بقلبي
بل بذاكرتي. . .
هذه الذاكرةُ التي تحتلُّها احتلالًا قَسْريًّا
منذُ مئةِ عامْ. . .
دُونَ رضايَ. .
ودُونَ إرادتي. .
ودُونَ أن يكونَ مَعَكَ عَقْدٌ للإيجار. . .

2

منذُ مئةِ عام..
وأنتَ تعيشُ في ذاكرتي
كما لو كانتْ شقَّتَكَ الـخُصُـوصيَّـةْ.
تتمدَّدُ على وَسَائِدها متى تشاءْ...
وتعلّقُ ثيابكَ في خزائِنها متى تشاءْ...
وتأخُذُ قيلولتَكَ فيها حينَ تشاءْ...
وتستعملُ ثلّاجتَها..
وتصنعُ قهوتَكَ حينَ تشاءْ..

3

منذُ مئةِ عام . .
وأنت مُعَرْبَشٌ كحشائشِ البحرْ
على شواطئ ذاكرتي .
أطلبُ منكَ الهجرةَ . . فلا تُهاجِرْ
وأشتري لكَ بطاقةَ سفرٍ . . فلاَ تسافرْ
وأُغلقُ حقائبكَ . . فتفتَحها من جديدْ . .
وأطلبُ من البوليس أن يُلقي القبضَ عليكْ . .
فيُلقي القبضَ عليّ . .

4

منذُ مئةِ عامْ..
وذاكرتي لا تتذكَّرُ رَجُلًا غَيركْ..
ولا تعرفُ من التاريخ، غير تاريخِكْ
ولا تعرفُ من الجغرافيا، غيرَ مساحةِ يديكْ..
ولا تعرفُ من الثقافة .. سوى كلماتِ الحبِّ
التي تكتُبُها على قميصي...

5

منذُ مئةِ عامْ..
وأنا أحاولُ أن أكسرَ دائرةَ الطباشيرْ
التي حَبَسْتَني فيها ..
وخبّأتَ مفاتيحَها في جَيْبِكْ...
منذُ مئةِ عامْ...
وأنا أحاولُ أن أقنعَكَ باحترامِ حقوقِ الإنسانْ
وحقوقِ الأُنوثَةْ..
ولكنَّكَ .. ككُلِّ ذُكورِ القبيلَةْ...
بقيتَ مُصِرًّا على الاحتفاظِ بمتلكاتِكْ..
التي لا تغيبُ عنها الشمسْ...
وبقيتَ رافعاً أعلامكَ الحمراء
فوق أسوارِ ذاكرتي...

6

أيُّها الجالسُ مَلِكاً فوقَ عَرْشِ ذاكرتي
حَرِّرني ولو ليومٍ واحدٍ من سُلطَانِكْ
فكلُّ شارعٍ أمشي فيهِ.. يحملُ اسْمَكْ..
وكلُّ مقهى ألجأُ إليه ... يرفُضُني وحدي...
وكلُّ حديقةٍ عامةٍ تُقْفلُ أبوابَها في وجهي...
وكلُّ البوتيكات التي أشتري منها ثيابي
لا تبيعُني شيئاً ... قبلَ أن أستشيرَكْ...
فاخْرُجْ من تحت جلْدي
حتى أعيشَ حياتي بصورةٍ طبيعيَّةْ..
وأتنفَّسَ بصورةٍ طبيعيَّةْ.

7

إنّني أحملُكَ في داخلي
كامرأةٍ في شهرها التاسعْ . . .
فكيفَ أتخلَّصُ منكْ؟
كيفَ أقطعُ حَبْلَ مشيمتي مَعَكْ
وأنت مُشْتَبِكٌ ككُرةِ الصّوفْ
بأحلامي ، ورغباتي ، وجهازي العصبيّ؟
كيف أتركُكَ على قارعةِ الطريق
تحت الثلجِ والمطر ، والأعاصيرْ . .
وأنت أوّلُ طفلٍ ولدتُهُ . .
وآخرُ طفلٍ سوفَ ألِدُهْ؟

8

لقد سقَطَ جدارُ برلين ، يا سيِّدي
وسقطتْ حجارةُ العالم القديمْ.
وتـحرَّرتْ جنوبُ إفريقيا من حكمِ الرَّجُلِ الأبيضْ..
بعد ثلاثمئة عامْ..
فلماذا ، يا أيُّها الرجُلُ الأبيضْ
تواصلُ احتلالَ ذاكرتي؟
لماذا تزرعُ الألغام في ذاكرتي؟
والحرائقَ تحت مخدّتي؟

9

كيف أقتلعُكَ من ذاكرتي
وأنتَ متشبّثٌ بها
كما تتشبّثُ الشُّعَبُ المرجانيّةْ
بصخورِ البحر الأحمر؟ . . .

10

يا أيُّها المستأجرُ الأبديُّ لمشاعري
اذهبْ إلى أيِّ فندقٍ تشاءْ. . .
وأنا سأدفعُ أجرةَ إقامتِكْ. . .
ادخلْ إلى أيِّ مقهى تختارُه. . .
وأنا سأدفعُ ثمنَ قهوتِكْ. .
تزوَّجْ من أيّة امرأةٍ تعجبُكْ
وأنا سأدفعُ لك الـمَهرْ!!!

خُذْني
إلى حدود
الشمس...

خُذْني إلى حدود الشمس...

1

قُلْ لي . قُلْ لي
هل أحببتَ امرأةً قَبْلي؟
تفقِدُ ، حين تكونُ بحالة حُبٍّ
نُورَ العقلِ . . .

2

قُلْ لي . قُلْ لي
كيف تصيرُ المرأةُ - حين تُحِبُّ -
شُجَيْرَةَ فُلٍّ؟
قُلْ لي
كيف يكونُ الشَّبَهُ الصارخُ
بينَ الأصلِ ، وبينَ الظِّلِّ
بينَ العين ، وبينَ الكُحْلِ؟
كيف تصيرُ امرأةٌ عن عَاشقِها
نُسْخَةَ حُبٍّ . . طِبْقَ الأصْلِ؟ . .

3

قُلْ لي لغةً . .
لم تسمَعْهَا امرأةٌ غيري . .
خُذْني . . نحو جزيرةِ حُبٍّ . .
لم يسكُنْها أحـدٌ غيري . .
خُذْني نحو كلامٍ خلفَ حدودِ الشِّعْرِ
قُلْ لي : إنّي الـحبُّ الأوَّلْ
قُل لي : إنّي الوعدُ الأوَّلْ
قَطِّرْ ماءَ حنانِكَ في أذُنيَّا
إزرَعْ قمراً في عينيَّا
إنَّ عبارةَ حُبٍّ منكَ . .
تُساوي الدنيا . . .

4

يا مَنْ يسكنُ مثلَ الوردةِ في أعماقي
يا مَنْ يلعبُ مثلَ الطفلِ على أحداقي
أنتَ غريبٌ في أطوارِكَ مثل الطفلِ
أنتَ عنيفٌ مثلَ الموجِ ،
وأنتَ لطيف مثلَ الرمل . .
لا تَتَضايقْ من أشواقي
كرِّرْ . كرِّر اسْمي دوماً
في ساعات الفجر . . وفي ساعات الليل
قد لا أُتقنُ فنَّ الصمت . . فسامِحْ جهلي . .
فتّشْ . فتّشْ في أرجاء الأرض
فما في العالم أُنثى مثلي . . .

5

أنتَ حبيبي . لا تتركْني
أشربُ صبري مثلَ النَّخْلِ . .
إنّي أنتَ . .
فكيف أُفرِّقُ . . بين الأصلِ ، وبين الظِّلِّ؟

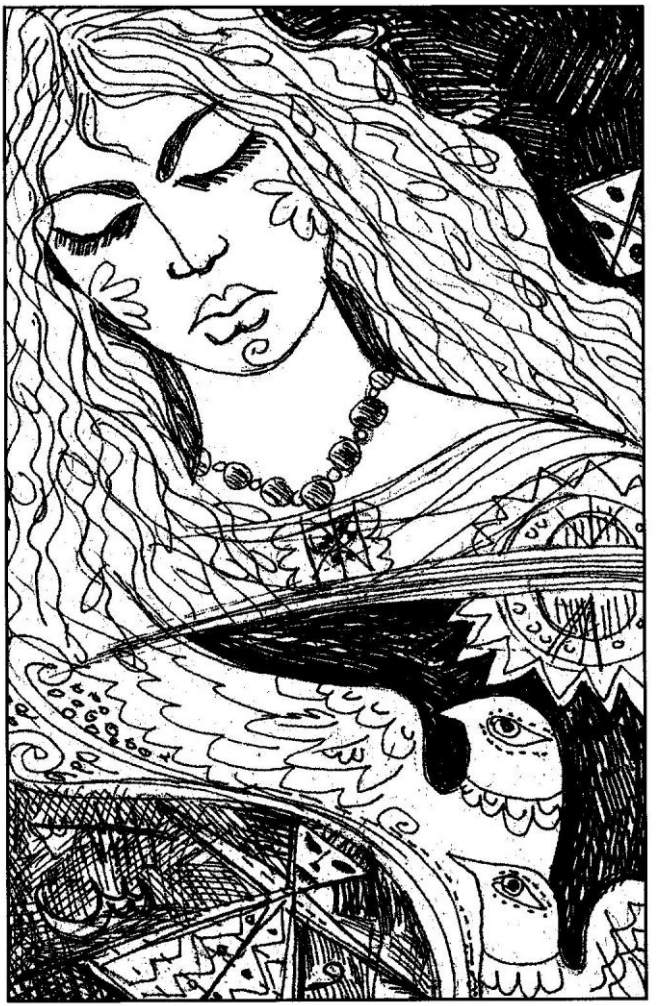

رائحة
صوتك . . .

رائحةُ صوتك...

1

تدورُ المقاهي حولَ نفسها..
تدور كلماتُكَ حولَ أُنوثتي..
تدور الذكرياتُ حولَ عنقي..
أهربُ من رائحةِ صوتِك..
إلى غرفتي.

2

يا هذا الذي احتكرَ جغرافية العالم..
اتركْ إقليماً صغيراً في فكري..
لا يخضعُ لاستعمارِكْ..
اتركْ قلعةً واحدةً من قلاعي...
لا ترفرفُ فوقها أعلامُكْ.

3

أيا رجل الكبريتِ والنار
أعجنِّي كقطعةِ صلصال . .
ارسمْني . .
هضبةً من الفضَّة . . .
وهضبةً من الذهب . .
وحبّةً من اللوز . .
وحبةً من المانغو . .
ارسمْني على صورتك . .
فأنا لا أعترفُ بأية صورةٍ لي
لا تحملُ توقيعَك

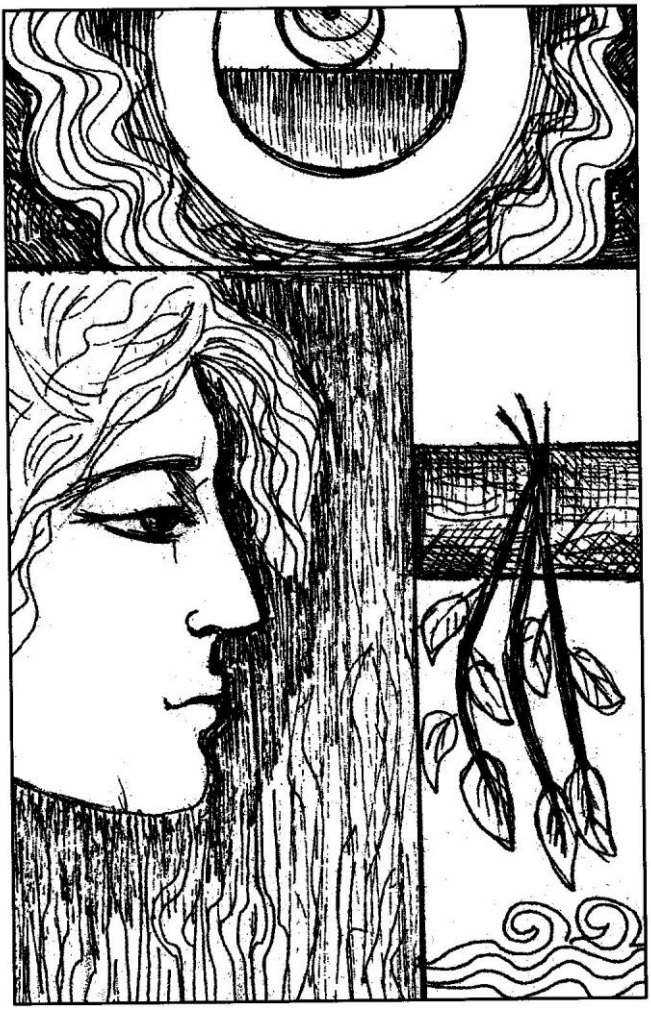

سأبقى
أحبك...

سأبقى أُحِبُّكَ...

1

أُحِبُّكَ . . .
رَغْمَ أُلوفِ العُيُوبِ الصغيرةِ فيكَ
وأعرفُ أنَّكَ لا تستحقُّ عَطائي .
وأرمي بنفسي على ساعديكَ
ولا أتذكّرُ أين أمامي . .
وأين ورائي . .

2

أُحِبُّكَ . . .
حتى حُدُودِ السَّذَاجةِ
حتى حُدُودِ الغباءِ . .
وأعرفُ أني سأغْرَقُ في آخرِ الأمر ،
في شِبْرِ ماءِ . .
فسامحْ غَبَائي . .

3

أُحِبُّكَ جدّاً . .
وأعرفُ أنَّ مزاجَكَ
غيْمٌ . . وبَرْقٌ . . ورَعْدٌ . .
وأني تزوّجتُ فَصْلَ الشتاءِ
وأعرفُ أنَّ التقدُّمَ صَعْبٌ
وأنَّ التراجُعَ صَعبٌ
وأنَّ بحارَكَ دون ابتداءٍ . .
ودون انتهاءِ . .
أُحِبُّكَ جدّاً
وأعلَمُ علمَ اليقين
بأنّي أؤسّسُ مملكةً في الهواءِ . . .

4

أحِبُّكَ جدّاً . .
وأعرفُ أني سأقتحمُ المستحيلْ
وألْـمِسُ سَقْفَ السماءِ
أُحِبُّكَ حتى التهوُّرِ
حتى التبخُّرِ
حتى التقمُّصِ فيكَ
وحتى فَنائي.

5

أُحِبُّكَ . . من دونِ قيدٍ . . ومن دونِ شرطٍ
وأعرفُ أنّي تجاوزتُ كلَّ الـخُطُوطِ . .
وأحْرَقْتُ نِصْفَ البلادِ ورائي .
أُحِبُّـكِ . . من دون أيِّ حسابٍ
وأعرفُ منذُ البدايةِ
أنّي سألقى جَزَائي . .

6

أُحِبُّكَ جدّاً
وكم كنتُ أرغبُ أن لا أُحبُّك
لكنّها نُقْطَةُ الضَّعْفِ عند جميعِ النساءِ
ففي حالةِ العشْقِ . .
لسنا نفرِّق بين السُّفُوحِ
وبين الهضابِ
وبين السُّطُورِ وبين الكتابِ
وبين الثَّوابِ وبين العقابِ
وفي حالة الشَّوْقِ . .
لسنا نفرِّقُ بين النّبِـي وبين الـمُرابي
أُحِبُّكَ جدّاً . .
فهل يا تُراني ، أُحبُّ خَرَابي .

7

أيا أيُّها الديكتاتورُ الصغيرْ
أنا لا ألومُكَ مهما فعلتْ
ومهما قمعتَ شُعُوري
ومهما كسرتَ خيالي . .
ومهما بطشتْ
فلم تَكُ يوماً قويّاً
لكنَّ ضَعْفي خلَّاكَ تُـحْسَبُ في الأقوياءِ
ولم تَكُ يوماً كبيراً
ولكنْ أنا . .
قد رفعتُكَ بالـحبِّ نحو السَّمَاءِ . . .

8

أيا سيِّدي:
لا تؤاخِذْ جُنوني
فإنّي بدائـيّةُ النزواتْ
وعشقيَ - مثلي - بِدائي
سأبقى أُحِبُّكَ
مهما ضجرتَ
ومهما صرختَ
ومهما احْتَجَجْتَ
ومهما أردتَ التحرُّرَ من كُحْليَ العربيِّ..
ومن شعريَ الكسْتَنَائيّ..
سأبقى أُحِبُّكَ
حتى تسيلَ دماكَ
وحتى تسيلَ دمائي...

ليلةُ القبض
على
فاطمة...

ليلةُ القبض على فاطمة...

1

هذي بلادٌ . . تَخْتِـنُ القصيدةَ الأُنْثَى . . .
وتشنُقُ الشمسَ لدى طُلُوعِها
حفظاً لأمنِ العائلَهْ . . .
وتذبَحُ المرأَةَ إن تكلَّمَتْ . . .
أو فكَّرَتْ . . .
إو كتَبَتْ
أو عَشِقَتْ . . .
غَسْلًا لعارِ العائلَهْ . . .

2

هذي بلادٌ لا تريدُ امرأةً رافضةً
ولا تريـدُ امرأةً غاضبةً
ولا تريـدُ امرأةً خارجةً
على طُقُوسِ العائلَهْ
هذي بلادٌ لا تريـدُ امرأةً . . .
تمشي أمامَ . . . القافلَهْ . . .

3

هذي بلادٌ أكلتْ نساءها . . .
واضطجعتْ سعيدةً . .
تحت سياطِ الشمسِ والهجيرْ
هذي بلادُ الواق والواقِ . . التي تصادرُ التفكيرْ
وتذبحُ المرأةَ في فراشِ العُرْسِ . . كالبعيرْ . . .
وتمنعُ الأسماكَ أن تسبحَ . . .
والطيورَ أن تطيرْ . . .
هذي بلادٌ تكرهُ الوردةَ إن تفتَّحتْ
وتكرهُ العبيرْ
ولا ترى في الـحُلْمِ إلا الـجِنْسَ . . والسريرْ . . .

4

هذي بلادٌ أغلقتْ سماءَها . . .
وَحنَّطَتْ نساءَها . .
فالوجهُ فيها عَوْرَةٌ
والصوتُ فيها عَوْرَةٌ
والفكرُ فيها عَوْرَةٌ
والشِّعْرُ فيها عَوْرَةٌ
والـحُبُّ فيها عَوْرَةٌ
والقَمَرُ الأخضرُ ، والرسائلُ الزرقاءْ

5

هذه بلادٌ ألغتِ الربيعَ من حسابِها
وألغتِ الشتاءْ . .
وألغتِ العيونَ . . والبُكَاءْ . .
هذي بلَادٌ هَرَبتْ من عقلِها
واختارتِ الإغماءْ . .

6

ماذا تريدُ الـمدنُ النائمةُ. . الكسولةُ. . الغافلهْ منّي. . .
أنا الـجارحةُ . . الكاسرةُ . . المقاتلَهْ؟
إن كان عقلي ما يريدونَ،
فلا يُسعـدُني بأن أكونَ عاقلَهْ. . .
ما تفعلُ المرأةُ في أمطارِها؟
ما تفعلُ المرأةُ في أنهارِها؟
كيف تُرى يمكنُها أن تزرعَ الوردَ
على هذي الجرودِ القاحلَهْ؟

7

ماذا من المرأةِ يبتغونَ في بلادنا؟
يبغونَها مَسْلُوقةً . .
يبغونَها مَشْوِيَّةً . .
يبغونَها معجونةً بشَحْمِها ولـحْمِها
يبغونَها عَرُوسةً من سُكّرٍ . .
جاهزةً للوصلِ كلَّ لـحظةٍ
يبغونَها صغيرةً . . وجاهلَهْ
هذي هي الوصايا العَشْر . . .
في حفْظِ تُراثِ العائلهْ . .

8

معذرةً . . معذرةً . . .
لن أتخلَّى قطُّ عن أظافري
فسوف أبقى دائماً
أمشي أمامَ القافلَهْ . .
وسوف أبقى دائماً . . .
مقتولةً . . أو قاتِلَهْ . .

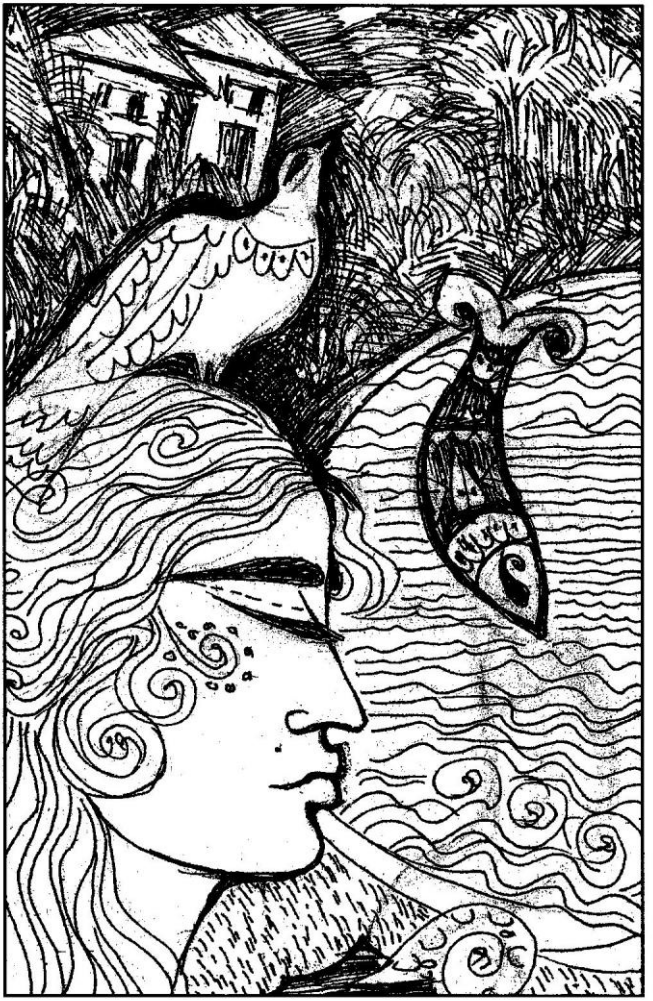

السمكةُ
تعود إلى
بحرِها. . .

السمكةُ تعود إلى بحرِها...

1

هاأنذا أمام بحرِ بيروت
لأستعيدَ صَداقتي مع الطيورِ والأسماكْ
وحواري مع اللونِ الأزرق . .
بعدما أرهقَني العطشْ . .
ودوّختني المسافاتْ . .
وحاصرني الزمنُ اليابسْ

2

هاأنذا أقفزُ كسمكة
على شاطئ الأوزاعي
وأنامُ على الرملِ الدافئ
بعد مئةِ عامٍ من النومِ على سريرِ الأحزان

3

هاأنذا أكسرُ جدران ذاكرتي
وأدخلُ المدينة التي علّمتني
كيف أقرأُ كتابَ الحريّة
وكيف أكتشفُ فضاء أحلامي
وأبعادَ أنوثتي؟

4

ليس صحيحا . . .
أنَّ بيروت يحدُّها البحرُ من الشرق
والجبالُ من الغرب
إنها مدينةٌ لا نهايات لها . .
تمامًا كالحلمِ . . والشِّعر . . والحريّة

5

ليس صحيحا . .
أنَّ بيروت هي إحدى قصائدِ البحرِ الأبيضِ المتوسط
بيروت هي الشِّعرُ كلّه . . .

6

بيروت كحّلتني
وعطّرتني
وجمّلتني . .
وألبستني سواراً من الذهب . . .
لم أخلعْهُ من معصمي . .
منذ أكثر من ثلاثينَ عاما . . .

7

بيروت زرعتْ في شعري وردة . . .
لم تزلْ أوراقها مبلّلة . . .
منذ أكثر من ثلاثينَ عاما . . .

8

بيروت أعطتني مفاتيحَ الشِّعر . .
وقنديلَ الثقافة . . .
ولا يزالُ القنديلُ يتوهّجُ في غرفتي . . .
منذ أكثر من ثلاثينَ عاما . . .

9

في الستّينات . .
كنتُ كنخلةٍ صحراويّة تنتظرُ المطر
كزهرةِ أقحوان . .
تبحثُ عن إناءٍ يحتويها . . .
وفي بيروت وجدتُ الإناء . .
واغتسلتُ بمطرِ الحريّة . . .

10

بعد عامٍ على وصولي إلى موطنِ القمر
بدأتُ أكتبُ شعرا
على دفترِ القمر . .
وبدأت أتعلّمُ لغة العصافيرِ في (زحلة)
ولغةَ الصنوبرِ في (ضهور الشوير)
ولغةَ الثلجِ في جبلِ (صنين)
ولغةَ البحرِ في صوتِ فيروز . .

11

وفي مدينةِ (عاليه) . .
وبين كرومِ العنبِ وأشجارِ الكرز
وأزهار الدفلى . .
أنجبتُ أحلى قصائدي (مبارك)
وهكذا أعطاني لبنان شهادتينِ أفتخرُ بهما . .
شهادةَ الحياة . .
وشهادةَ الأمومة . .

12

علّمني بيتُنا في (اليرزة)
كيف أصادقُ الشجر
وكيف أغتسلُ بموسيقى المطر
وكيف أتذوّقُ سمفونيّةَ الصراصيرِ الليليّة . . .

13

لم تستطعِ الحربُ أن تنتصرَ على لبنان
لم تستطعْ أن تنتصرَ على الحلمِ اللبناني . . .
والتوهُّجِ اللبنانيّ . .
والتفوُّقِ اللبنانيّ.
لم تستطعْ أن تقصَّ أجنحةَ طموحِه . . .
أو توقفَ صهيلَهُ الجميل . . .
أو تغتالَ كبرياءَ أرزِه . . وروعةَ مواويلِه . . .

14

لم تستطعِ الحرب . .
أن تُسكتَ صوتَ جبران . .
أو صوتَ الياس أبي شبكة . . .
أو صوتَ الأخطل الصغير . . .
ربما استطاعتِ الحربُ أن تحرقَ الحجر . .
والإسمنت . .
وأن تطفئَ قناديلَ الشوارع
ولكنّها بالتأكيدِ لم تستطعْ أن تطفئَ حضارةَ
صيدون وصور . . .
أو تمنعَ قدموسَ من الإبحارِ إلى المستحيل . .

15

سبعةَ عشرَ عاما . . مرّت على حريقِ بيروت . .
ولا تزالُ أكبرَ من موتها . .
وأكبر مـمّن دمّروها . . وأحرقوها . .
سبعةَ عشرَ عاما تحتَ ألسنةِ اللهيب .
ولا تزالُ تتوهّجُ تحتَ الرماد . .
كسبيكةِ الذَّهب . . .

أنا ألفُ
مرّة
أجمل...

أنا ألفُ مرّةٍ أجمل...

1

لأنكَ تُـحبُّ الشَّعرَ الأسودَ الطويل
فإنْ الآسيوياتْ
أسدلنَ ستائرَ الليلِ على ظهورهِنّ
تحيةً لكَ أيها المليكْ
وأضربْنَ عن قصِّ شعورِهنّ

2

لأنك تُـحِبُّ اللونَ الأسْمرَ المحروق
فقد اغتسلنَ بالشمسِ حتى يستقبلْـنَك
أيها القادمُ على حِصانِ العِشقْ

3

لأنكَ تُـحِبُّ وجهي طبيعياً
فإن النساء غسلْنَ وجوهَهُنَّ . .
بمياهِ الأمطارِ الاستوائية . .
وتَـحَمَّمْنَ بماءِ الوردْ
إكراماً لعينيك
ولأنكَ تُـحِبُّ وجهي طبيعياً كزنبقةِ الصباحْ
فإنّ اللهَ أبدعَ في رسمِ وجهِ سنغافوره

4

ولأنكَ تُـحِبُّني
فإنّ العالمَ صارَ أكبرْ
والسماءَ أوسعْ
والبحرَ أكثرَ زُرقةْ
والعصافيرَ أكثرَ حريّةْ
وأنا ألفَ . . ألفَ مرةٍ أجمل

صوتك
بيتي...

صوتُك بيتي...

1

أتغطّى بشراشفِ صوتِكَ القَمَريّ
كما تحتضنُ طفلةٌ لُعبَتها
في ليلةِ العيد . . .

2

صوتُكَ بلبلٌ . . وصيف
وغاباتٌ سويسريّة . . .
صوتُك . . أحطابٌ . . . وشموعٌ
وفحمٌ مشتعل . . .

3

صوتُكَ شالٌ منَ الصُّوف . . .
أَلبِسُه في ليالي البردِ والصقيعْ
صوتُكَ مظلّةٌ . . وغمامةٌ . . وديوانُ شعر . .
صَوتُكَ كَتِف . . .
صَوتُكَ بيتي . . .

السمفونيّة الرماديَّة...

1

يا أحبابي:
كانَ بوُدّي أن أُسمِعَكُمْ
هذي الليلةَ ، شيئاً من أشعارِ الـحُبّ
فالمرأةُ في كلِّ الأعمارِ ،
ومن كل الأجناسِ ،
ومن كلِّ الألوانِ
تدوخُ أمامَ كلامِ الـحُبّ
كان بِودّي أن أسْرُقَكُمْ بِضْعَ ثوانٍ
من مـملكةِ الرَّمْلِ ، إلى مـملكةِ العُشْبْ
يا أحبابي:
كان بِودّي أن أُسمِعَكُمْ
شيئاً من موسيقى القلبْ
لكنَّا في عصرٍ عربيٍّ
فيه توقّفَ نَبْضُ القلبْ. . .

2

يا أحبابي:
كيف بوُسْعي
أن أتجاهلَ هذا الوطَنَ الواقعَ في أنياب الرُّعْبْ؟
كيفَ بوُسْعي
أنا أتجاوزَ هذا الإفلاسَ الروحيَّ
وهذا الإحباطَ القوميَّ
وهذا القَحْطَ . . وهذا الـجَدْبْ؟

3

يا أحبابي:
كان بودّي أن أُدخِلَكمْ زَمَنَ الشِّعرْ
لكنَّ العالَم . وا أسَفَاهُ . تَحوَّلَ وحشاً مجنوناً
يَفتَرِسُ الشِّعرْ . .
يا أحبابي:
أرجو أن أتعلَّمَ منكُمْ
كيف يُغنّي للحريّةِ مَنْ هوَ في أعماقِ البئرْ؟
أرجُو أنْ أتعلّمَ منكُمْ
كيفَ الوردةُ تنمُو من أشجَارِ القهرْ؟
أرجو أن أتعلمَ منكُمْ
كيف يقولُ الشاعر شِعْراً
وهو يُقلَّبُ مثلَ الفرْخَةِ فوقَ الجمرْ؟

4

يا أحبابي:
لا هذا عصرُ الشِّعْرِ ، ولا عصرُ الشُّعَراءْ
هل يَنْبُتُ قمحٌ من جَسَدِ الفقراءْ؟
هل يَنْبُتُ وردٌ من مِشْنَقَةٍ؟
أم هل تَطْلَعُ من أحداقِ الموتى
أزهارٌ حمراء؟
هل تَطْلَعُ من تاريخِ القَتْلِ قصيدةُ شعرٍ؟
أم هل تخرُجُ من ذاكرةِ الـمَعْدِنِ يوماً قطرةُ ماءْ؟

5

تتشابهُ كالرُّزِّ الصينيِّ . . .
تقاطيعُ القَتَلَهْ
مقتولٌ يبكي مقتولًا
جُمْجُمَةٌ تَرْثي جُمْجُمَةً
وحذاءٌ يُدفَنُ قُرْبَ حذاءْ
لا أحدٌ يعرِفُ شيئاً عن قبرِ الحلّاجِ
فنِصْفُ القتلى في تاريخِ الفِكْرِ ،
بلا أسماءْ. . .

بيروت
كانت وردة
وأصبحت
قضيةْ

بيروت كانت وردةً...
وأصبحت قضيهْ

1

بيروتُ . يا قصيدةَ القصائدْ
يا وردةَ البحرِ . . ويا جزيرةَ الأحلامْ
يا عمريَ الجميلَ مكتوباً
على الرمالِ ، والأصدافِ ، والغَمَامْ.
ويا مكاتيبَ الهوى ينقُلُها الـحَمَامْ . . .
يا شعْريَ الطويلَ مَنْثُوراً
على (الرَوْشَةِ) . . . و(اليَرْزَةِ) . .
والأشرعةِ البيضاءْ . .
يا فَرَحي كطفلةٍ ضائعةٍ في (شَارِعِ الـحمراءْ)!! . .

2

آتي من الكويتِ . . .
مثلَ نخلةٍ مُتْعَبَةٍ تريـدُ أن تَنَامْ
آتي إلى البيتِ الذي من خُبْزِهِ أطْعَمَني
آتي إلى الثَّدْي الذي أرْضَعَني.
آتي لكم مُشْتَاقةً
كي أشكرَ الحرفَ الذي ثَقَّفني.
وأشكرَ البحرَ الذي
إلى حُدُودِ الشَّمْسِ قد أطْلقَني . .

3

أبحثُ في بيروتَ . . .
عن لونِ عينيَّ وطُولِ قامتي.
أبحثُ عن عمري . . وعن ذاكرتي.
أبحثُ عن رسائلي الأولى . . .
وعن عَلَاقتي الأولى . .
وعن وُعُوديَ الأُولى . .
وعن قصائدِ الـحُبِّ التي ترفُضُها قبيلتي. .

4

آتي إلى بيروتَ
كي أَلْقَى صديقي البَحْر . .
آتي لكي ألقى صديقي الشِّعْر
فعندما تغيبُ بيروتُ
فلا قصيدةً جميلةً نقرؤها
أو قطعةً من نثْر.
وعندما تغيبُ بيروتُ عن العينِ
يغيبُ العُمْر . . .

5

أبحثُ في بيروتَ . .
عن أشيائيَ الأولى التي تركتُها في غرفتي . .
عن كُتُبِ الشِّعْرِ التي تبكي على مكْتَبَتي .
أبحثُ عن أمطارِ أيلولَ . . وعن مظلّتي . . .
عن قِصَصِ الـحُبِّ التي خَبّأتُها بالسرِّ في حَقِيبَتي . .
فَمنْ تُري يُعيدُ لي طُفولتي؟ . .
ومن تُرى يُعيدُ لي ذاكرتي؟ . . .

6

آتي إلى بيروت..
كي أبحثَ عن حبّي .. وعن أحبَّتي
أبحثُ عن (ترويقةِ) الفُولِ لدى (مَرُّوشْ)
عن باعةِ القهوةِ في الكورنيشِ
عن (منقوشةِ الزعترِ) .. عن جريدتي

7

بيروتُ ، يا شفَّافةَ العينينِ . . .
يا لؤلؤةً بَحْريَّهْ
يا مُهْرةً تَصهلُ في مَلَاعبِ الحريَّهْ . .
يا وردةً قد تركتْ أوراقَها . . وعِطرَها . .
وأصبَحتْ قضيَّة!! . .

8

آتي إلى بيروت . .
كي أبحثَ عن كَرَّاسةِ الشِّعْرِ
التي خَرْبَشْتُها في سالفِ الأيّامْ
أبحثُ عن دفاتري
في وطنٍ قد صادرَ الأوراقَ ، والأفكارَ ، والأقلامْ . .
أبحثُ في بيروتَ عن كلامْ
أقولُهُ ، في وطنٍ يُحرِّمُ الكلامْ
يُحرِّمُ الـحبَّ على أنواعِهِ . .
يُحرِّمُ الشِّعْرَ على أنواعِهِ . .
يُحرِّمُ الصلاةَ والصيامْ!! . .

9

أبحثُ في بيروتَ
عن حريّةِ الـحُبِّ . . وعن حرّيّتي
فليسَ من مدينةٍ تَليقُ بالشِّعْرِ
سوى بيروتْ . .
وليسَ من مدينةٍ تَليقُ بالـحُبِّ
سوى بيروتْ . .
وليسَ من مدينةٍ تُشْبِهُني
من مُدُنِ الدُّنيا ، سوى بيروتْ . . .

10

ما أروعَ الأيَّام في (شتُورةٍ)
و(زَحْلةٍ)..
حيثُ رنينُ الكاسِ لا يَنَامْ
وأعينُ العُشَّاقِ لا تنامْ
والشِّعرُ حتى الفجرِ لا ينامْ
يا ليتني مثلَ العصافيرِ التي
تشتاقُ كلَّ لحظةٍ إلى بلاد الشامْ!!

11

أُحِسُّ في بيروتَ . . أنّي امرأةٌ ثانيةٌ
في ذلكَ العصرِ الرجوليِّ الذي
صادرَ عقلي مرّةً . .
ومرّةً أُنوثتي . .
آتي إلى بيروتَ . . كي أحيا ليومٍ واحدٍ
وألْتَقي حُرّيّتي . . .

12

آتي إليكِ اليومَ ، يا بيروت
هاربةً من قلقي النفسِيِّ . .
من تَوَجُّعي القوميِّ . .
من أُكذوبةِ السَّلَامْ . .
آتي من التخلُّفِ الكبيرِ . .
والتَّشَرْذُمِ الكبيرِ . .
والتَّنَاثُرِ الكبيرِ . .
آتي إليكِ من ثقافةِ الشراءِ . . والبَيْعِ . .
ومن مُثقّفي الظَّلَام!! . .

13

آتي إليكِ اليومَ ، يا بيروتْ
أمشي على حقلٍ من الألغامْ
هاربةً من مدن قد أحرقتْ تاريخَها
وطَلَّقَتْ مبادئَ العروبَهْ . .
وطَلَّقَتْ مبادئَ الإسلامْ . .

14

آتي إلى الـجَنُوبِ
حيثُ الأرضُ تُنْبِتُ الليمونَ ، والزيتونَ ،
والأبطالْ . . .
وتُنْبِتُ العزّةَ . . والنَّخْوةَ . . والرِّجالْ . .
آتي إلى الـجَنُوبِ
كي أُقَبِّلَ السُّيُوفَ ، والـخيولَ ، والنِّضَالْ . . .
وفي فمي سُؤالْ:
هل أصبحَ الـجَنُوبُ وحدَه . . قاعدةَ النِّضالْ؟

سمفونيّةُ الأرض...

1

تلكَ سِمْفُونيّةُ الأرضِ العظيمَهْ
تَتَوالى . .
تَتَوالى . .
مثلَ ضَرْبَاتِ القَدَرْ
مَرّةً في بيتِ لحمٍ
مَرّةً في غَزَّةٍ
مَرّةً في الناصِرَهْ
قَلَبتْ طاولةَ الرُّوليتْ ، علينا . . .
سَحَبَتْنا فجأةً من قَدَمَيْنَا

كنَّسَتْ في لحظةٍ أسماءَ كلِّ الزُّعَماء
أغلَقَتْ بالشَّمْعِ أوكارَ السياسَهْ
ودكاكينَ الـخَدَرْ
ذَبَحَتْ كلَّ البَقَرْ
فاستقيلُوا يا كبارَ الشُّعراءْ
ليس للشِّعْر لَدَيْنَا سادةٌ أو أُمَرَاءْ
إنَّ للشِّعْرِ أميراً واحداً يُدْعَى الـحَجَرْ

2

تلكَ سِمْفونيّةُ الأرضِ المجيدَهْ
تَتوالى . . تَتَوالى
مثلَ إيقاعِ النواقيسِ،
ومُوسيقى القصيدَهْ
تـحمِلُ البَرْقَ إلينَا . . والـمَطَرْ
أحْرَقتْ أَوراقَ كلِّ الأُدَبَاءْ
خَلَعَتْ أضراسَ كلِّ الـخُطَبَاءْ
ورَمتهُمْ في صَقَرْ

فافْرُشُوا السُّجَّادَ . . والوَرْدَ . .
لأطفالِ الـحِجَارَهْ
واغْمُرُوهُمْ بالزَّهَرْ . .
إنَّ إسْرَائيلَ بيتٌ مِنْ زُجَاجٍ . .
وانْكَسَرْ . .

3

ها هيَ الأخبارُ تأتي كالفَرَاشاتِ إليْنَا
خَبَراً . . بعدَ خَبَرْ . .
حَجَراً . . بعدَ حَجَرْ . .
فعلى أجفانِنَا قَمْحٌ ، ودِفْلَى ، ووُرُودْ
هَا هُمُ أولادُنَا
يَضَعُونَ الشَّمْسَ في أكياسِهِمْ
يُبْدِعُونَ الزَّمَنَ الآتي . . يَصِيدُونَ الرُّعُودْ
ويثُورُونَ على ميراثِ عادٍ . . وثَمُودْ . .

هَا هُمْ أكبادُنا . .
يَقْتُلُونَ الزَّمَنَ العبريَّ . .
يرمُونَ الوصايا العَشْرَ للنارِ . .
وَيُلْغونَ أساطيرَ اليَهُودْ . .

4

رائعٌ هذا الـمَطَرْ.
رائعٌ هذا الـمَطَرْ..
رائعٌ أنْ تَنْطُقَ الأرْضُ ،
وأنْ يَـمْشيَ الشَّجَرْ
هَا هُمْ يَنْمُونَ كالأعْشَابِ
في قلبِ الشَّوَارعْ
ففتاةٌ مثلُ نَعْنَاعِ البَرَارِي
وفَتىً مثلُ القَمَرْ

هَا هُمْ يـمْشُونَ للموتِ صُفُوفاً
كعصافير الـمَزَارعْ
ويَعُودونَ إلى خَيْمَتِهِمْ دُونَ أَصَابعْ
فاتْرُكُوا أبوابَكُمْ مَفْتُوحةً
طُولَ سَاعَاتِ السَّمَرْ
فلقد يأتي الـمسيحُ الـمُنْتَظَرْ
ولقد يَظْهَرُ فيما بَينَهُمْ
وَجْهُ عليٍّ . .
أو عُمَرْ . .

5

قَاوِمي . . أيَتُها الأيْدي الـجمِيلَهْ . .
قَاوِمي . . أيَّتُها الأيْدي التي بلَّلها
ماءُ الطُّفُولَهْ . .
لا تُبالي أبداً . . بأكاذيبِ القبيلَهْ . .
لم نُحرِّرْ نحنُ شِبْراً من فِلِسْطينَ . . ولكِنْ
حَرَّرتْنا هذه الأيْدي الرَّسُولَهْ . .

القصائد

13 - التخرّج
19 - حرائق على الثلج . . .
31 - أعتذرُ لك
41 - رجلٌ في الذاكرة
55 - خُذني إلى حدود الشمس
63 - رائحةُ صوتك
69 - سأبقى أُحبُّك
81 - ليلةُ القبض على فاطمة
93 - السمكةُ تعود إلى بحرها
107 - أنا ألف مرّة أجمل
113 - صوتُك بيتي
119 - السمفونيّة الرماديّة
129 - بيروت كانت وردة . . وأصبحت قضيّه
147 - سمفونيّة الأرض

مطابع الرياضي - الكويت

آذار (مارس) 2005